



صنع البيئة الأخلاقية

رؤية قرآنية

ح) مهدي جعفر صليل، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

صليل، مهدي جعفر

صنع البيئة الأخلاقية رؤية قرآنية/ مهدي جعفر صليل -

القطيف، ١٤٣٦هـ

٤٨ ص، ..سم

ردمك: ٤-٧٤٤٥-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية ٢- القرآن - مباحث عامة أ. العنوان

١٤٣٦/٣٠٣١

ديوي ٢١٢

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٠٣١

ردمك: ٤-٧٤٤٥-٠١-٦٠٣-٩٧٨



صنع البيئة الأخلاقية

رؤية قرآنية

محاضرة لسماحة الشيخ حسن الصفار

إعداد: مهدي صليل

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

القطيف - المملكة العربية السعودية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





مقدمة

يواجه المسلمون اليوم تحديات خطيرة على أكثر من صعيد، مما يستدعي من المفكرين والمصلحين سعياً جاداً لمعالجة هذه التحديات، بإنتاج فكري ثقافي يتناسب مع متطلبات المرحلة.

الجانب الأخلاقي أحد أهم هذه التحديات وأخطرها، فالدراسات والإحصاءات تشير إلى تنامي الجريمة في المجتمعات المحافظة، وتسلسل الانحرافات الأخلاقية حتى إلى بعض أفراد العوائل المتدينة.

ويكفي أن يقرأ الإنسان عناوين من الصحافة المحلية في يوم واحد، ليشعر بحجم المشكلة



الأخلاقية التي أخذت في الازدياد بشكل مخيف.

وننقل هنا - كنموذج - بعض ما جاء في الصحافة
السعودية ليوم الإثنين ١٤ / ٧ / ٢٠١٤ م:

- عصابات منظمة تقود ٢٠ ألف متسول.
- تضاعف قضايا السرقة في ٦ أشهر.
- سرقة ١٠٠ مليون سنويًا من أموال الصرافات.
- ١٩٩ دعوى عقوق من الآباء ضد أبنائهم.
- مواطن يقتل والدته فجرًا بـ ٦ طلقات كلاشنكوف.
- إيقاف أحد الشابين المعتدين على والدهما.

هذه الأخبار المؤسفة نقلتها الصحافة في يوم
واحد!!

ماذا لو جمعت أخبار الأسبوع أو الشهر!!

إنه مؤشر خطير يدل على تردي الأوضاع
الاجتماعية والأخلاقية، وهو ما يحتم على المؤسسات
الحكومية والأهلية وضع الخطط الاستراتيجية
لمواجهة هذه الظواهر الخطيرة والتي بدأت تعصف
بالمجتمع بشكل مخيف.





ونحن في لجنة أنوار القرآن، نسعى لنشر الثقافة
القرآنية، التي تدعو للخير والفضيلة، بمختلف
الوسائل المتاحة، ومنها إقامة الندوات والمحاضرات
والبرامج التربوية.

وقد استضفنا سماحة العلامة الشيخ حسن الصفار،
ليتحدث عن الأخلاق في القرآن الكريم، فقدم بأسلوبه
الرائع الجميل معالجة جديدة لهذا الموضوع الهام،
حيث تحدث عن صنع البيئة الأخلاقية، وهي معالجة
متقدمة في بابها، تتعدى التوجيهات الفردية، إلى البيئة
والأجواء الاجتماعية والعائلية.

نأمل أن تتحول هذه الأفكار والمعالجات إلى
برامج عملية تطبيقية تسهم في تطور المجتمع وبنائه.

مهدي صليل







كلمة الأستاذ علي جاسم سواد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله
الطاهرين.

قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ
إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾
[سورة ص، الآية: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٩].



رسالة القرآن الكريم هي الهداية والتوجيه
والإرشاد، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وإقامة الحق
والعدل كي يسعد أهل الأرض جميعاً.

كيف نقتبس هذا النور والضياء، ونجعلها واقعاً في
حياتنا؟

ما هي المبادئ الأخلاقية التي يدعو لها القرآن
الكريم؟

وما هي الموانع التي تمنع الناس من الاستفادة من
هذه النعمة الإلهية؟

للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها، نستضيف الليلة
علماً من أعلام الفكر والتغيير الاجتماعي وهو سماحة
العلامة الشيخ حسن موسى الصفار، وهو الخطيب
والمؤلف والمفكر الذي استقى من آيات القرآن
الكريم منهجه للإصلاح والتغيير الاجتماعي، فأثرى
المكتبة الإسلامية بمؤلفاته ومحاضراته.





نص المحاضرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله
الطاهرين.

في البداية أشكر لجنة أنوار القرآن بسيهات على
إقامة هذا اللقاء المبارك، وأشكرهم على جهودهم
ومبادراتهم لنشر ثقافة القرآن الكريم، ولتعزيز الاهتمام
بهذا الكتاب المقدس في المجتمع، وأسأل الله تعالى
لهم التوفيق لمزيد من العطاء والخدمة للقرآن الكريم
وللمجتمع.





تمهيد

الحديث عن الأخلاق في القرآن الكريم، حديث واسع شامل، لأن الرسالة الأساسية للقرآن الكريم كما تحدث رسول الله ﷺ هي إتمام مكارم الأخلاق، حيث ورد عنه ﷺ أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١).

فالقرآن برنامج لإصلاح وتقويم أخلاق الإنسان في تعامله مع نفسه، وفي تعامله مع ربه، وفي تعامله مع مجتمعه، وفي تعامله مع البيئة الكونية التي تحيط به.

في القرآن الكريم حديث مفصل حول مختلف

(١) كنز العمال. حديث رقم ٥٢١٧.



جوانب الأخلاق، لكننا في هذا البحث نتناول بعداً واحداً، نحاول التركيز عليه وهو صنع البيئة الأخلاقية.

لأن التوجيه الأخلاقي تارة يتوجه الحديث فيه إلى الفرد: أن يلتزم بمكارم الأخلاق، ونجد في القرآن الكريم آيات كثيرة ضمن هذا السياق.

وتارة أخرى يكون الاهتمام بصنع البيئة الأخلاقية، لأن الفرد هو جزء من مجتمعه، يتأثر به وهو نتاج له، فحينما يعيش الفرد ضمن بيئة من الالتزام الأخلاقي، فإن هذا يكون أدعى لأن يلتزم بالأخلاق الفاضلة، ويسير على منهج الأخلاق.





أهمية الأخلاق في عصرنا الراهن

الأخلاق تعني تطلع الإنسان إلى الكمال، والتقدم في طريق السمو المعنوي والروحي، وهي التي ترتقي بالعلاقات في المجتمع الإنساني، فكلما كانت الأخلاق أرقى وأجمل، كانت العلاقات الاجتماعية أوثق، وكان وضع المجتمع أفضل.

وهو ما عبر عنه الشاعر أحمد شوقي بقوله:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهب أخلاقهم ذهبوا

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «حسن الخلق ذهب

بخير الدنيا والآخرة»^(١)

(١) بحار الأنوار. ج ٦٨، ص ٣٨٤.



والأخلاق هي التجلي الأمثل لإنسانية الإنسان،
فمن دون الأخلاق لا يكون الإنسان إنساناً، فهي
الكاشفة عن حقيقة الذات.

وإذا كانت الأخلاق مهمة في كل عصر ولكل
مجتمع بشري، فإنها في عصرنا الحاضر ولمجتمعاتنا
أشد إلحاحاً، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: قوة الحالة الذاتية الأنانية عند الإنسان.

شعور الإنسان بذاته واهتمامه بنفسه وتمحوره
حول مصالحه الشخصية، في كثير من الأحيان
والحالات يكون على حساب الالتزام الأخلاقي،
وهي في هذا العصر أقوى من أي عصر مضى.

ثانياً: قوة النزعة المادية في حياة الإنسان.

نزوع الإنسان إلى المادة وحب الخير حالة طبيعية
في كل عصر ومصر، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ
لَشَدِيدٌ﴾ [سورة العاديات، الآية: ٨].

لكننا في هذا العصر نجد أن هذه النزعة أكثر عمقاً
وتمكناً في شخصية الإنسان ونفسه، وذلك لأسباب
مختلفة، وهذه النزعة المادية غالباً ما تكون على



حساب الالتزام الأخلاقي.

ثالثاً: تغول التوجهات المناوئة للفضائل الأخلاقية.

لم يعد الانحراف والفساد الأخلاقي مجرد ممارسة فردية، ولم يعد مجرد توجه عصابة أو فئة أو تيار من الناس، بل أصبحت هناك مؤسسات ضخمة وشركات دولية عالمية، ومصالح مرتبطة بهذه الجهات تربح وتستثمر وتثري من خلال الدعوة الى الفساد الأخلاقي، وهذا ما نلاحظه من خلال انتشار كثير من الظواهر:

١. المواقع الالكترونية الإباحية والإجرامية

تذكر إحدى الإحصائيات أن هناك أكثر من ١٤٠ ألف موقع إباحي باللغة العربية، ومع ازدياد أعداد مرتادي المواقع الالكترونية بشكل عام، يزداد عدد المتأثرين بهذه المواقع.

كما تنتشر في الانترنت المواقع التي تعلم طرق الانتحار والسرقة والغش، وسائر الجرائم.

٢. القنوات والمحطات الفضائية.

وما تحويه من برامج وأفلام، تشجع على العدوان





والخيانة الزوجية، وألوان الانحرافات الأخلاقية والسلوكية.

٣. مافيا المخدرات.

فهذه القوى المناوئة للفضائل الأخلاقية تعمل بكل جهد وبكل قوة، وقد تغولت في حياة البشر، ودخلت بوسائلها المتعددة إلى المجتمعات المحافظة، مما يستدعي ضرورة التحرك الجاد لمواجهتها.

ويكفي أن نشير إلى ما أعلنته وزارة الداخلية في المملكة يوم الأحد ١٤ جمادى الأولى ١٤٣٥ هـ، فقد صرح المتحدث الأمني للوزارة: إن الجهات الأمنية تمكنت خلال الأشهر الثلاثة الماضية من القبض على (٨٤٩) متهمًا منهم (٢٧٨) سعوديًا، بالإضافة إلى (٥٧١) متهمًا من (٣١) جنسية مختلفة، لتورطهم في جرائم تهريب ونقل واستقبال وترويج مخدرات، تقدر قيمتها السوقية بـ(٢) مليار و(٩٣) مليونًا و(٨٧٤) ألفًا و(٢٣١) ريالاً^(١).

(١) صحيفة عكاظ، العدد: ٤٦٥٦ الإثنين ١٦ / ٥ / ١٤٣٥ هـ
١٧ مارس ٢٠١٤ م.



ما هو المطلوب من الجهات الدينية؟

يتساءل البعض قائلاً: مع كل هذه الجهود من العلماء والمصلحين والخطباء لا تزال المفسد والانحرافات موجودة!!

فما هو الحل؟ وما هو المطلوب؟

نقول: إن ما نراه من تعدد مظاهر الفساد واستشرائها مع سعي المصلحين وتحركهم هو أمر طبيعي، فحتى في مجال الطب والصحة الجسدية، هناك كليات طب، ومصانع أدوية، ومستشفيات ومراكز صحية، وهناك أبحاث ودراسات طبية، وفحوص ومختبرات وأجهزة متطورة، ومع كل ذلك لم تنته الأمراض في حياة البشر!

بل في كل مدة زمنية نسمع عن مرض جديد، لم يكن معروفاً من قبل، كما نسمع اليوم عن مرض (كورونا)، فهل يمكن القول: إن المستشفيات ليس لها فائدة؟! أو كليات الطب ليس لها داعٍ؟!!

فلا نستطيع أن نتحدث عن إنهاء هذه الحالة، وإنما ينبغي أن يكون الحديث عن مواجهتها والحد





من تأثيرها، فهو صراع بين الخير والشر.. بين الفضيلة
والرذيلة، وهي معادلة الحياة من بدايتها إلى نهايتها.

ليس المطلوب من الحالة الدينية أن تنهي
وتستأصل حالة الفساد والانحراف، فهذا ليس متوقعًا،
بل المطلوب أن لا تُترك ساحة الحياة فارغة خالية
لدعاة الفساد والانحراف، يجب على دعاة الخير أن
يتحركوا ويواجهوا، ويحاولوا أن يكونوا أكثر تأثيرًا
وأكثر نفوذًا، فجهات الشر موجودة ما دام الشيطان
موجودًا.

إن وجود الشيطان رمز لاستمرار الصراع بين
الخير والشر في حياة البشرية، لكن في بعض العصور
والأوقات، وفي بعض المناطق والمجتمعات ترجح
كفة الشر على كفة الخير، فنحن نعيش اليوم في عصر
تمتلك فيه كفة الانحراف والفساد إمكانات وقدرات
كبيرة جدًا، وهذا ما ينبغي أن يحفز ويدفع دعاة الخير
والفضيلة إلى أن يزيدوا من جهدهم، ومن دورهم
ونشاطهم، فكما هو الحال في مختلف الجوانب، في
هذا الجانب أيضًا تكون المعادلة قائمة على الصراع.



يقول تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ
فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج، الآية: ٤٠].

مجتمعاتنا التي كانت في السابق مجتمعات
محافظة، لها هويتها ولها اهتماماتها الدينية التي تجعلها
أقرب إلى الالتزام الأخلاقي في مجالات كثيرة،
نجدها اليوم في حالة تراجع، فالالتزام الأخلاقي الآن
في حالة تصدع، قياساً إلى ما مضى، وقياساً إلى ما هو
متوقع من مجتمعات تنتمي إلى هوية دينية محورها
الأخلاق والقيم، وهذا أمر طبيعي، فنحن نعيش في
عصر العولمة، حيث ما عادت هناك حواجز وحدود،
فما يجري في أنحاء العالم ينعكس على مجتمعاتنا
ويؤثر فيها، لذلك نلاحظ مظاهر التصدع الأخلاقي
آخذة في الاتساع.







مظاهر التصدع الأخلاقي

نلاحظ في مجتمعاتنا الكثير من التصدعات الأخلاقية، ومن مظاهرها:

١ . استشراء حالة الفساد في إدارة الشأن العام.

الأجهزة الحكومية ومختلف إدارات الشأن العام في عالمنا الإسلامي، تعاني من استشراء حالة الفساد، وهناك كتابات كثيرة في الصحف المحلية في المملكة تتحدث عن الفساد في الوزارات والمؤسسات، حتى في بعض المؤسسات الدينية!!

كأئمة المساجد أو المؤذنين مثلاً الذين لا يلتزمون بعملهم، ويتفقون مع عمال من جنسيات مختلفة (اتفاق بالباطن) ليؤدوا عنهم عملهم، في مقابل جزء

من الراتب المخصص لهم من الوزارة.

كما تناولت الصحف بعض المشاكل في مجال القضاء، ومحاكمة بعض (كتاب العدل) واتهام بعض القضاة.

فقد تحدثت صحيفة الوطن عن تزوير صك قطعة أرض من قبل كاتب عدل:

علمت «الوطن» من مصادر قضائية مطلعة، أن أبرز الملاحظات هي زيادة مساحة الأرض من ٣٨ مليون متر مربع إلى ٨٥ مليون متر مربع، بطريقة مخالفة للمساحة الحقيقية للأرض، وذلك باعتماد كاتب العدل «منظم الصك» - سبق أن سجلت ضده سابقة - إضافة مساحة مغايرة للحقيقة حسب طلب تاجر عقارات.

وذكرت أن الدائرة الحقوقية السابعة بمحكمة الاستئناف أصدرت قرارا يقضي بشطب الصك، وإحالة القضية إلى الجهات المختصة للتحقيق مع كاتب العدل وتاجر العقارات^(١).

(١) الوطن أون لاين بتاريخ ١٩ / ٥ / ٢٠١٤ م.



كما جاء في صحيفة عكاظ: تحقق جهات عليا مع ثلاثة قضاة بثلاث مناطق في تجاوزات بحجج استحكام و صكوك أراض لمخططات وهمية غير معتمدة، إضافة إلى تورطهم على خلفية عدم تنفيذ الأوامر السامية بمراعاة مصالح المواطنين^(١).

٢. ضعف القيم العائلية

هناك ضعف واضح في حضور القيم العائلية، وما يتبعه من تفكك العائلة، يعجب الإنسان من هذه الأرقام الهائلة التي تتحدث عن نسبة الطلاق المرتفعة في المملكة، وكذلك في مجال عقوق الوالدين وانتشار هذه الحالات في مناطق كثيرة.

ونذكر هنا بعض ما ورد في الصحف المحلية كنماذج لجرائم ارتكبتها أبناء في آبائهم:

■ كشف الناطق الإعلامي بشرطة منطقة مكة المكرمة عن تسجيل (١٠٠٠) حالة عقوق موزعة

(١) عكاظ العدد ٤٧١٩ الصادر يوم الإثنين ٢٠ / ٠٧ / ١٤٣٥ هـ الموافق ١٩ / ٥ / ٢٠١٤ م.





على كافة محافظات منطقة مكة المكرمة^(١).

■ أقدم عاق على قتل والده ثم أحرقه في منطقة الرياض^(٢).

■ وفي قرية اليتمة (٧٥ كيلو عن المدينة المنورة) أقدم شاب عاق يبلغ من العمر ١٦ عامًا على قتل والده الخمسيني أثناء نومه بسلاح ناري^(٣).

ومن المظاهر المؤسفة أيضًا حالات الخيانات الزوجية، والعلاقات المحرمة!!

في كل زمن كانت تحدث مثل هذه الأمور، وكانت في الماضي تحدث كحالات فردية شاذة نادرة، لكنها اليوم تحدث بشكل متكرر، والأدهى والأمر أن تحدث علاقات محرمة بين المحارم، وهي ما عادت أمورًا يستتر عليها، والصحف اليومية تتحدث عن هذه المشاكل بصورة متكررة، وبعض المشاكل بصورة يومية!!

(١) صحيفة الرياض ٢٦ رجب ١٤٣٥ هـ.

(٢) صحيفة الشرق ٢٤ / ١ / ٢٠١٤ م.

(٣) صحيفة الرياض ١٣ / ١٢ / ١٤٣٥ هـ.



٣. ضعف الالتزام بالآداب العامة

في الماضي كنا نلاحظ حالة من الاحترام والأدب العام، لكننا اليوم نجد تراجعاً واضحاً على هذا الصعيد، خصوصاً عند أبناء الجيل الجديد، فقد أضحت حالة ضعف الاحترام والالتزام بالآداب ظاهرة عامة، ويتمثل ذلك في عدم الالتزام بقوانين المرور، ونظافة المرافق العامة، وبعض الممارسات الطائشة كالتفحيط.

الموقف المطلوب

هذه حالات متوقعة الحصول، ولا ينبغي أن تثير في نفوسنا الانهزام أو الاستسلام، أو القلق المبالغ فيه، أو تجاهل الحالات الإيجابية، وإنما ينبغي أن تكون دافعاً لنا لكي نؤدي واجبنا تجاه نشر الأخلاق و بث القيم الأخلاقية.

في كثير من اللقاءات والجلسات والكتابات يبيد المصلحون الأخلاقيون الدينيون حسرتهم وألمهم:

لماذا أصبحت مجتمعاتنا تعيش مثل هذه الحالة
ومثل هذه التصدعات؟!؟





لكن اجترار الحسرة والحديث بألم لا يحل المشكلة، فهذه هي طبيعة الحياة، صراع ومواجهة بين الخير والشر، الآخرون يعملون ويتحركون، ودعاة الخير ينبغي أن يزيدوا من تحركهم وعملهم، هذه هي السنة الطبيعية في مختلف المجالات.

الخطابة والوعظ والتوجيه

كثيراً ما يتأثر المتفاعلون مع الشأن العام مما يرون ويسمعون عن المظاهر السيئة، ويطالبون الخطباء بالحديث في محاضراتهم عن هذه المظاهر وضرورة إدانتها واستنكارها، ويظنون أن مجرد الحديث على المنبر عن الموضوع كاف لمعالجة المشكلة ومواجهتها!!

إن الوعظ والإرشاد والخطب أدوات مهمة في المعالجة، لكن ذلك ينبغي أن يكون ضمن منظومة متكاملة من الخطوات العملية للحل، وهو ما نستشفه ونقرأه من خلال توجيهات القرآن الكريم، في سياق صنع البيئة الأخلاقية.





الاتجاهات القرآنية لصنع البيئة الأخلاقية

يمكننا أن نستشف التوجه القرآني في هذا المضممار
من خلال المحاور التالية:

**المحور الأول: التأكيد على دور العائلة في تنمية
الأخلاق.**

من المشاكل الكبيرة التي بدأت تنتشر في
مجتمعاتنا أن العائلة ما عادت تولي الاهتمام الكافي
بمسؤولية التربية.. ما عادت العائلة تقوم بمهمة تنمية
القيم والأخلاق وغرسها في نفوس الأبناء!

أصبح الوالدان منشغلين باهتمامات كثيرة
ومتشعبة، وواضح جداً كيف أن تربية الأطفال
والاهتمام بهم أصبح قسم كبير منه على كاهل



الخادمت، وقد تحدث الباحثون في دراسات متعددة عن الآثار النفسية والاجتماعية لتخلي العائلة عن دور الحضانة والتربية.

العائلة هي المحور الأساس في صنع البيئة الأخلاقية، وحينما نرى هذه المظاهر من التسبب الأخلاقي في سلوك الأبناء والشباب فعلينا أن نعلم بأن ذلك ناتج عن خلل في اهتمام العائلة بهؤلاء الأبناء واحتضانهم.

لم تعد نسبة الاهتمام التربوي متناسب وحجم التحديات الراهنة، فلا بد من مضاعفه مستوى الاهتمام بالأبناء من قبل العوائل.

مطلوب من العائلة أن تضع برنامجاً لنشئة أبنائها على الأخلاق والقيم، وذلك بأن يكون الوالدان قدوة صالحة، وأن يشركوا الأبناء معهم في أعمال الخير، وإظهار الأخلاق الفاضلة الكريمة، وإقناع الأبناء عبر الوسائل المؤثرة في نفوسهم بالقيم والفضائل والمسالك الأخلاقية.

القرآن الكريم يشير إلى مسؤولية العائلة في التنشئة





الأخلاقية، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا
أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾
[سورة التحريم، الآية: ٦].

أنت مسؤول أن تحمي نفسك من الانحراف وأن
تقي أهلِكَ، وهذا خطاب موجه لكل أفراد العائلة،
ليس للرجل فقط، وإنما للرجل والمرأة، ولكل عضو
مؤهل لاستقبال هذا الخطاب من القرآن الكريم، فهو
مطالب بهذا الأمر.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ
وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه، الآية: ١٣٢].

التنشئة الأخلاقية تحتاج إلى صبر.. تحتاج إلى
نفس طويلة، كما تحتاج إلى خطة، فلا يكفي مجرد
الحديث العابر.

القرآن الكريم يحدثنا عن مثال، وعن نموذج
للأب الذي يتحاور مع ابنه، ويتخاطب معه لإقناعه
بمنهج الأخلاق والالتزام بالقيم، حينما يتحدث
القرآن الكريم عن وصايا لقمان لابنه، فإنه يشير إلى
منهج سلكه وطريقة اتبعها، حتى يقنعه ويزرع في نفسه





الإيمان بالله وتوحيده، وليس مجرد كلمات قالها ذات مرة واكتفى بها، فالآيات الشريفة خلاصة لفكرة ومنهج كان يمارسه لقمان مع ابنه، وهي قصه من أجل الاقتداء والتأسي، فهي آيات تدعو كل أب أن يتحدث مع أبنائه بالأسلوب المؤثر المناسب لهم، وفي ذلك وردت آيات مفصلة:

١ . يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
[سورة لقمان، الآية: ١٣].

إن الحديث مع الأبناء ينبغي أن يكون حديثاً وجدانياً من القلب إلى القلب، فيفيض بالشفقة والحنان، وليس بلغة الأوامر الصارمة، لذلك يشير القرآن الكريم إلى استخدام لقمان أسلوب الموعظة في حديثه مع ابنه، بما يعنيه هذا الأسلوب من إثارة الضمير والوجدان والعواطف النبيلة.

٢ . ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٦].





إن مساعدة الابن على تشكيل رؤيته للحياة والوجود على أساس الإيمان بالله تعالى وأنه وحده المؤثر في الكون والحياة، لا شريك له، وأن المصدر والمرجع إليه، هذه الرؤية هي التي تكون مصدر الشعور بالمسؤولية، واعتماد السلوك القويم.

هكذا يتحدث لقمان لابنه عن تأثير كل عمل يقوم به، وأنه محاسب على كل عمل مهما صغر:

٣. ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٧].

٤. ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٨].

٥. ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٩].

هذه الوصايا تمثل عناوين ومحاور للقضايا التي





ينبغي للأب وللعائلة أن تهتم بتنشئة الأبناء عليها، بدءاً من منهج التواصل مع الله تعالى عبر الصلاة وسائر العبادات، مروراً بتحمل المسؤولية الاجتماعية تجاه القيم والأخلاق، حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوفر على نفسية الصمود وروح الثبات أمام تحديات الحياة، وانتهاءً بحسن المعاشرة مع الناس والتزام السلوكيات الفاضلة.

إن وصايا لقمان يقدمها القرآن الكريم كعناوين للبرنامج التربوي الذي يجب أن تضعه العائلة لتنشئة أبنائها على أساس مبادئ الأخلاق والقيم.

ونحن بحاجة إلى وجود برامج ومشاريع ومؤسسات للتأهيل التربوي.

المحور الثاني: وجود فئات تتبنى الدعوة إلى قيم الأخلاق.

في كل المجالات هناك حاجة لمؤسسات اجتماعية، مؤسسات تدعو للاهتمام بالبيئة، وأخرى تهتم بالفقراء والمحتاجين، وثالثة للعناية بالمعوقين وذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع والجوانب الصحية.





كذلك نحن بحاجة ماسة إلى مؤسسات تدعو إلى الفضيلة، وتبشّر بالقيم الأخلاقية، في مختلف المجالات وعلى مختلف الصعد.

وهذا يتطلب وجود فئات تفكر وتخطط، وتنتج برامج تدعو للالتزام بالقيم الأخلاقية المختلفة، ولو أخذنا الالتزام بقواعد المرور مثلاً، نجد أن الحاجة ماسة على هذا الصعيد، فهناك حالة من الضعف على مستوى الالتزام بقواعد المرور، وفي كل سنة - وخاصة بمناسبة أسبوع المرور - تنشر إحصائيات مرعبة، حتى أن إحدى الإحصائيات تقول: إن عدد ضحايا حوادث المرور في المملكة يزيد على عدد القتلى في بعض الحروب الأهلية التي تجري في بعض البلدان!!

والسؤال: كيف يمكن مواجهة هذه الحالة؟

نحن بحاجة إلى مؤسسات تتبنى الدعوة إلى الالتزام بقيم السلامة المرورية، ومراعاة كل ما يرتبط بهذا الجانب.

فنحن نتوفر على ثقافة ثرية على هذا الصعيد، فقد ألف المرجع الراحل السيد محمد الشيرازي كتاباً





حول فقه المرور، كما أن لدينا تجارب على المستوى الإنساني، ونرى على أرض الواقع أحداثاً ووقائع نعيشها في وطننا، كلها تعتبر روافد لمن يهتم بهذا الموضوع.

وكذلك على صعيد البيئة والنظافة العامة، يمكن للإنسان أن يلحظ بسهولة مستوى الاهتمام المتدني بنظافة الأماكن العامة، كالحدائق والمنتزهات والشواطئ، فترى الكثير من العوائل تقضي وقتاً على الشاطئ وتتناول فيه الأطعمة، لكنها لا تعتنى بالنظافة، فتترك بقايا الطعام والأوساخ على الأرض، مع وجود صناديق مخصصة للقمامة بالقرب منها!!

فنحن بحاجة إلى من يذكر بقيم الالتزام بالنظافة في الأماكن العامة.

وما أحوجنا إلى مؤسسات وجماعات تتبنى نشر ثقافة العفاف، وتحصين أبناء المجتمع وبناته من طوفان الإعلام الهابط، الذي يحرض الأهواء والشهوات، ويدفع نحون الرذائل وانتهاك الأعراض.

إن بعض من يسقطون في فخ الشهوات من الشباب





والشابات ينقصهم الوعي والنضج، ويتعرضون لحالات من الخداع والتغريب والابتزاز، بينما يمكن حمايتهم بشيء من التوعية والتثقيف وعرض التجارب المؤلمة التي وقع فيها أندادهم.

صحيح أن عامة الناس يعرفون هذه القيم، لكنهم يحتاجون إلى التذكير، فمشكلة البشر لا تنحصر في عدم المعرفة، بل ما يعرض لهم من الغفلة والنسيان، لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٥]، لا بد من التذكير وإثارة الاهتمام.

من هنا يتحدث القرآن الكريم عن ضرورة وجود فئات تحمل هم التبشير بالقيم الأخلاقية.

يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٤] والأمة هي الجماعة، والخير عنوان عام.

والمعروف هو كل ما ينفع الناس ويفيدهم، والمنكر ما يضر الناس وما يخالف الشرع.





ينبغي أن تتشكل لجان متخصصة في الدعوة للخير
والمعروف، وأن تلقى الدعم الكافي من المجتمع.

وينقل لنا القرآن الكريم تجربة فئة من قوم نبي الله
موسى عليه السلام، كانت تدعو إلى الخير والفضيلة، وموقف
فئة أخرى سعت للتشيط، والتقليل من شأن الموعظة
يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ
مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ
وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٦٤].

وذلك يعني أنه حتى لو لم تجد الفئات العاملة
الاستجابة بالمستوى المطلوب والمتوقع فإن ذلك
لا ينبغي أن يثبط عزيمتها، بل على العاملين أن
ينطلقوا بكل قوة، رغم كل الصعوبات التي يمكن أن
يواجهوها، فذلك من طبيعة الحياة وطبيعة الصراع بين
الخير والشر.

ويشير القرآن الكريم إلى فئة تتحمل المسؤولية
أكثر من بقية الفئات والشرائح، وإن كانت المسؤولية
عامة، وهم العلماء بالدين يقول تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمْ
الرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّخْتَ



لِبَشِّسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿[سورة المائدة، الآية: ٦٣].

إن مسؤولية الأمر المعروف والنهي عن المنكر مسؤولية عامة، على كل مكلف حسب استطاعته وإمكاناته، لكن العلماء يتحملون المسؤولية الكبرى على هذا الصعيد.

المحور الثالث: الرأي العام الاجتماعي

ينبغي أن يكون هناك رأي عام باتجاه الخير والاستقامة، بحيث يشجع الجميع للسير في طريق الأخلاق والقيم، ويزجرهم ويبيدهم عن طريق الانحراف والفساد، وهذا ما نلاحظه في بعض المجالات من العادات والتقاليد التي يتأثر الإنسان بالرأي العام الضاغط نحوها بصورة سلبية، فنجد البعض يبالي في مراسم الزواج، رغم عدم اقتناعه بها، وذلك استجابة للرأي العام الضاغط.

كذلك يجب أن نصنع رأيًا عامًا ضاغطًا باتجاه القيم والأخلاق، وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم، أن البيئة الأخلاقية ينبغي أن تصنع من خلال وجود هذا الرأي العام الضاغط، يقول الله تعالى: ﴿... وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر، من الآية: ٣].





ونحن نرى أن الذي يقود سيارته عكس السير فإن جميع السائرين ينبهونه إلى خطئه، وهذا ما ينبغي أن يكون في مختلف المجالات، فكل من يخالف القيم والأخلاق ينبغي أن يجد من ينبهه ويردعه، بالطريقة المناسبة المؤثرة.

يقول تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٩].

فالنهي عن المنكر وهو الاعتراض والردع عن العمل السيئ القبيح يجب أن يكون ممارسة عامة لأبناء المجتمع، بأن يتصدى كل واحد منهم لنهي الآخر عن ارتكاب الخطأ، فهو ينهى كما قد ينهى من قبل الآخرين.

يقول العلامة ابن عاشور: «وأطلق التناهي بصيغة المفاعلة على نهى بعضهم بعضاً، باعتبار مجموع الأمة، وأن ناهي فاعل المنكر منهم هو بصدد أن ينهاه المنهية عندما يرتكب هو منكراً فيحصل بذلك التناهي»^(١).

(١) تفسير التنوير والتحرير، ج ٥، ص ١٨١.





وإذا لم يتوفر في المجتمع رأي عام يستنكر ويدين الانحراف والفساد، فإن المجتمع يسير نحو البؤس الأخلاقي.

وكذلك نجد في الآيات التي تدعو إلى إصلاح ذات البين، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٠].

يجب أن يكون هناك رأي عام ضاغط باتجاه إصلاح ذات البين، ومبادرات عملية لتحقيق الإصلاح ومعالجة أي سوء تفاهم بين أفراد المجتمع، أو فئاته أو تكتلاته.

المحور الرابع: إجراءات رادعة للفساد والانحراف

فلا يصح أن يترك المجال لذوي النزعات الشريرة أن يعثوا بأمن المجتمع واستقراره دون ردع ومواجهة، بل لا بد من وجود قوانين وأنظمة للعقوبة والردع، ولهذا تناول القرآن الكريم عددًا من العقوبات التي شرعها الله تعالى لردع الفاسدين والمجرمين، كعقوبة العدوان على الممتلكات (السرقة) ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ



وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[سورة المائدة، الآية: ٣٨].

وعقوبة انتهاك الأعراض (الزنا) ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشِهَذَا عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور، الآية: ٢].

وعقوبة البهتان واتهام الناس في أعراضهم وأخلاقهم: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور، الآية: ٤].

فمع التأكيد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير والصلاح، إلا أنه لا بد من وجود العقوبات الرادعة، حتى تتكامل وسائل صنع البيئة الأخلاقية في المجتمع.

ونرى المجتمعات المتقدمة كيف حولت جوانب مهمة من السلوك الأخلاقي في التعامل الاجتماعي حولتها إلى قوانين وأنظمة صارمة نافذة، كالقوانين الرادعة للعنف الأسري، وتجريم التمييز العنصري والتحريض على الكراهية، والاعتداء على الحريات وخصوصيات الأفراد.



خلاصة وتوصيات

- الالتزام بالقيم والأخلاق يمثل تحديًا خطيرًا أمام مجتمعنا في عصر العولمة والتحولات الاجتماعية.
- الالتزام الأخلاقي ليس حالة كمالية ثانوية، بل هو ضرورة لأمن المجتمع وتماسكه وتقدمه.
- لكي تأخذ الأخلاق مداها في المجتمع لابد من إرساء بيئة أخلاقية.
- العائلة هي التي تضع حجر الأساس للالتزام الأخلاقي في نفوس الأبناء، فلا بد من توجيه الاهتمام بالتربية العائلية.



- وجود المؤسسات والجمعيات التي تتبنى نشر القيم والدعوة إلى مكارم والأخلاق ومواجهة الرذائل والمفاسد يشكل ركناً أساساً في صنع البيئة الأخلاقية.
- يجب أن يتحول الالتزام الأخلاقي إلى رأي عام في المجتمع، في مقابل حالة اللامبالاة وانعدام الشعور بالمسؤولية.
- وأخيراً لا بد من قوانين وأنظمة صارمة تردع من يعيث بأمن المجتمع الأخلاقي.





المحتويات

٧.....	مقدمة
١١.....	كلمة الأستاذ علي جاسم سواد
١٣.....	نص المحاضرة
١٥.....	تمهيد
١٧.....	أهمية الأخلاق في عصرنا الراهن
٢٥.....	مظاهر التصدع الأخلاقي
٣١.....	الاتجاهات القرآنية لصنع البيئة الأخلاقية
٤٥.....	خلاصة وتوصيات
٤٧.....	المحتويات

